Proceeding of 1st International Conference on Education, Society and Humanity
e-ISSN : 2986-5832
p-ISSN : 2986-6979
Vol. 01 No. 01 (2023)
Available online at https://ejournal.unuja.ac.id/index.php/icesh

PORTRAIT OF THE PALESTINIAN CITY IN QODIDAH "EXCEPT THOSE WHO DISOBEY" & QURBA MURBID NA'AMAH BY MUHAMMAD ABU DAUD

Ali Mahmud Asmu'i
Universitas Khatam Al Mursaliin Mesir
Email: asmu'i@gmail.com

Abstract:
This study discusses the problem of a poet regarding the problems that occur in the city, to what extent he feels the suffering that afflicts the residents of the city. This city seems to be a symbol of existence, eternity & stagnation. How did events hit the city? Will he be able to take the pain out of the city and its citizens? Can he feel the suffering of the townspeople and make it part of his concern?
Keywords: *The City, The Camp, The Poet Muhammad Abu Doma*

المقدمة

تحتل المدينة مكانة مرموقة في الأدب المعاصر ، على المستوى العربي والمستوى الفلسطيني ، سواء أكان جنس الأدب نثراً أو شعراً ، وذلك لدور التي تلعبه في تشكيل وعي الأديب ، وتدرج الوعي المعرفي في فترات زمنية مختلفة ، هو الذي قاد الشاعر إلى تناول وصف المدينة والظروف الصحية التي تعيشها في ظلّ احتلال غاشم ، حيث أنّ العملية الإبداعية للشاعر تولدت مع احداث وقت في تلك المدينة وواقع مؤلم تمرّ فيها ، جعلها ثكنة عسكرية ،سعياً وراء توفير قدر من الأمن والحماية ضدّ هجمات الفدائيين ، فالمدينة بوصفها نفياً معنوياً ومادياً للإنسان الفلسطيني — القتل والنزوح — وأثر ذلك على حياة شعب المدينة ، فالباحث تناول المدينة الفلسطينية من خلال قصيدتين للشاعر المصري " محمد أبو دومة " ، حيث جعلها رمزاً لابنها المناضل ، ليخلق حساسية اجتماعية ، تندرج زمانياً فترة الانتفاضة الثانية " 2001م" ، وحنينه إلى مدينة جنين والقدس والخليل ، وإشارته إلى قدسية هذه المدينة ، وهذه القدسية من الأسباب التي وثقت علاقة الشاعر بهذه المدينة .

مفردة المدينة تكاد ذات حضور مكثف ، وحضورها لا يعني زجها هكذا ، وإنما لوصفه لها ، وبالتالي حضور المدينة كان وصفياً ، يصف أهلها ووضعها في ظلّ هجمة احتلالية لسيطرة عليها واعتقال مناضليها ، مدينة مؤمنة متسامحة قوية ، يقودنا إلى خريطة رسمها لمدينة القدس والخليل في قصيدة " قربا مربط النعامة " ، والحديث عن مذبحة مخيم جنين في قصيدة " إلا مَنْ أبى " ، فنجده يصور الأوضاع بمنظور رمزي ، وهذه السوداوية تقف عن حدِّ الوضوح عندما يباشر بالقول.

فقد اتخذ " أبو دومة " من نصوص قصيدتيه أساساً لبيان أحداث لها أهمية في حياة الفلسطيني ، ونهضت الدراسة بواجب الشمولية والتخصص ، وتناولها أبعاداً مختلفة لتصور تجربة الشاعر من المدينة ، والكشف عن صورتها ، وموقفه منها ، فهو يجيب عن الأسئلة الآتية :

– ما هي المدينة ، وكيف بدأت المدينة الفلسطينية في شعر قصيدتي " إلا مَنْ ...أبى وقصيدة " قرّبا مربط النعامة " للشاعر " محمد أبو دومة ".

– وما موقفه من المدينة ؟

فقد امتزج ذكر المدينة في شعر قصيدتي أبو دومة بما يعانيه الشاعر من مظاهر الظلم والتعسف والفقد والضياع ، التي عانت منها المدينة الفلسطينية ن فقد لجأ إلى المنهج الوصفي والتاريخي لاستنطاق رموز المدينة ، وكشف دلالات التي تحملها أبيات قصيدتيه . واتبع منهجية الحديث عن المدينة ، ومكانة هذه المدينة ودورها النضالي في دفع العدوان بين غيرها من المدن الفلسطينية الأخرى ، لقد تعلق أبو دومة بالمدينة الفلسطينية ، وجعلها أيقونة ثمينة ، وجب الحفاظ عليها ، ونجده يصوّر ضياعها ، فقد بنى حولها سور بمعايير صهيونية كسرت كل الأبعاد ، ورسمت أطراً وحدوداً هدفها طمس هويتها العربية .

– التعريف بالشاعر

محمد السيد ياسين أبو دومة ، شاعر وأديب مصري ، ولد في قرية "كوم غريب" بمحافظة " سوهاج" عام 1944م ،نشأ وترعرع بها ، حصل على شهاد اللسانس آداب في اللغات الشرقية ، وماجستير ودكتوراه في الأدب المقارن في هنغاريا عام 1986م ، يجيد عدة لغات ، رحل عن عمر يناهز أربع وسبعين عاما بعد صراع مع المرض ، وقد كرمتّه قصور الثقافة ضمن فعاليات ليالي رمضان الثقافية والفنية ، وقد أهدت قصور الثقافة درع الهيئة لابنه باسم ، ونال العديد من الجوائز جائزة الدولة التشجيعية في الشعر 1989م ، وعلى عدد آخر من الجوائز المرتبطة بالشعر ن فقال قال : أنا شاعر لا أصلح لغير الشعر في هذه الدنيا ، أبصرني درويشاً وصعلوكاً ، او ما شئت لكني شاعر عاشق صوفي شيخ الطريقة "أوراد وتباريح " اختار نيابة مشيخة السادة الرفاعية عن محافظة " سوهاج " والتراث لدي انتمائي وفني وفكري وعلمي وديني .

شغل العديد من الوظائف منها :

– عمل مترجماً ومصنفاً للمخطوطات الفارسية والتركية ، وغدا رئيساً لقسم المقتنيات الفارسية والتركية بدار الكتب المصرية ،كما عمل مديراً لتحرير مجلتي القاهرة والكتّاب ، وكان عضواً فاعلاً بهيئة مجلة فصول ، وعمل أستاذاً في كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا ،وغدا عضو اتحاد الكتّاب مصر واتحاد كتّاب أسيا وأفريقيا ، وعمل رئيساً لاتحاد كتّاب مصر فرع جنوب الصعيد ، وشارك في العديد من المؤتمرات بالاستشراق وقضاياه ، ومجموعة من المهرجانات الشعرية العربية والمحلية

أعماله الأدبية ، ترك العديد من الدواوين الشعرية ومنها :

– السفر في أنهار الظمأ عام 1980م .

- الوقوف على حدّ السكين 1983م .
- تباريح أوراد الجوى 1990م ، وله العديد من الدواوين .

وترجم إلى اللغة العربية نصوص من المسرح المجري الحديث ، وترك دراسات نقدية من أشهرها " علاقة التشابه والتأثر في الأدب الفلسفي الفارسي العربي والمجري ".

التعريف بقصيدة

تعدُّ قصيدة " قرّبا مربط النعامة " من أروع القصائد التي قالها الشاعر " محمد أبو دومة ، وقد لقيت أعجاباً كبيراً من قبل الدارسين والنقاد ، ففيها رسم صورة للواقع العربي من خلال استخدامه نماذج من التراث ، لإبراز قضايا القومية العربية ، وأهمية المكان الذي يتحدث عنه ، فهو يتحدث عن اسم فرس كانت معروفة عند العرب واسمها " النعامة" وكانت ملكاً للحارث بن عباد ، والذي خلدها بمطولة شعرية أثناء دخوله المشارك في حرب البسوس " بكر وتغلب" بعد كان قد اعتزلها ، وقد كسر وهو على متنها ظهر الزير سالم أبو ليلى المهلهل ، وجزّ ناصيته أخذ لثأر ابنه الوحيد " بجير" رسول المصالحة والذي قتله الزير بشسع نعل كليب ، واخذ لثأر الكرامة العربية ، وهي الرمز الحقيقي للنضال المؤكد للشموخ العربي وبهزيمة الزير، تنتهي حرب البسوس ، وفي الوقت ذاته بدأ التجمع العربي من جديد استعداداً لصدّ هجوم " أبرهة على الكعبة ن إذ يقول

قرّبا مربط النعامة مني ، هي النفس توّاقة ،تزهق
النفس فيّ ، هب النار نزّاعة تقضم الروح قضماً مليا

أما القصيدة الثانية ، والتي جاءت بعنوان " إلا مَنْ أبى " ، فقد قال ابن احداث مذبحة " مخيم جنين – " ، عندما اجتاحت قوات الاحتلال بكامل عدتها وعتادها لاجتياح " جنين " ، وكان ذلك في الحادي عشر من شهر ابريل عام 2002م ، وقد وقعت معركة شرسة بين المقاومين وجنود الاحتلال مما أدى الى انسحاب هذه القوات منها ، المدينة الفلسطينية الباسلة ، التي تعدّ إحدى مدن المثلث في شمال فلسطين ، وتبعد عن مدينة القدس مسافة ست وسبعين كيلو متراً إلى الشمال ، وتطلّ على غور الأردن من ناحية الشرق ، ومرج بن عامر إلى جهة الشمال ، جنين مدينة في الأفق بالرغم من قلة عدد سكانها ، إلا أنّ لها ثقلاً اقتصادياً ، ومخيمها أقيم 1953م ، ويعدّ ثاني أكبر مخيم في الضفة الغربية بعد مخيم بلاطة ، ويسكنه ما يقارب سبع وعشرين ألف ، ومساحته اتسعت حوالي 473دونماً ، فقد استشهد عدد كبير من سكان المخيم واعتقل عدد آخر، وقد سجل التاريخ هذه المذبحة مثل غيرها من المذابح التي أحدثتها قوات الاحتلال ، هذه أسطورة جنين ، أسطورة اتسمت بالبساطة ، بساطة من سطرها وعاش لحظاتها ، فهم رغم بساطتهم أسهموا في إعادة المد القومي والكفاحي إلى الشارع العربي ( ).

تعريف المدينة

المدينة في المدار المغلق مغلقة بقشرة من النقد ، أن كسرنا غلافها الخارجي سندخل إلى المدينة المأمول منها ان تنهض مليئة بالذكريات والأمنيات ، المدينة لغة جمع مدن ومدائن هي مستوطنة حضرية ذات كثافة سكانية كبيرة ، اختلف تعريف المدينة من فترة إلى أخرى ، وبالرغم من وجود أثار للمستوطنات في المنطقة تعد إلى العصر الحجري ، إلا انها كانت قرى صغيرة ، ولم تصبح مدناً حتى الألفية الخامسة قبل الميلاد ، بوجود حضارات مثل حضارة وادي السند والصين والحضارة الإغريقية ، وللمدينة سمات منها الحكومة ، والكثافة السكانية ، والتنوع الاقتصادي ، وتعدّ حيّاً للأعمال المركزية ، وعدّها أحد الأشكال المتطورة من التجمعات السكانية حيث تصوغ أساليب الحياة التي تتلاءم مع بنيتها العمرانية والاقتصادية وتتناسب مع طابعها الاجتماعي ، وهي كلمة مأخوذة لغوياً من " دين " سامية الأصل ( ) .

المدينة حلقات متداخلة ومتراكمة يصعب تفكيكيها ،لكنها تبثّ داخلنا الإحساس بالزمن ن حتى اننا لا نجد سجلاً بصرياً بالغ الدقة يضاهيها ن فهي سجل متحرك قابل لتجديد ، وهي تعيش هويات متعددة نابعة من هوية كلية ن إلا أننا نشعر بنقلنا داخل جدار الزمن ليذكرنا كيف نشأت هذه المدينة ، ومن هم سكانها ، وكيف أنّها ترزخ تحت تغيير يفقدها قيمتها الجمالية والتاريخية ، فهي خلاصة تاريخ الحياة الحضرية ، ولم يستطع المؤرخون وضع تعريف للمدينة ، لأنّ ما ينطبق على مدينة لا ينطبق على أخرى ( ).

المدينة اصطلاحاً

وتعرف المدينة لدى " أرسطو" بأنها عدد من الذكريات التي من الممكن معرفة مكوناتها ومعانيها ، وتكون هذه الذكريات صخرية ، قد عرّف " ابن خلدون " المدينة قائلاً :" أمصار تمتلك أبنية كبيرة واجرام وهياكل عظمية ، وهي عامة حيث تحتاج إلى التعاون واجتماع الأيدي من اجل اخطاط المدن وتمصيرها ( ) .

المبحث الأول

" ( ) المدينة في قصيدة " قرّبا مربط النعامة

تبدو علاقة الشاعر بالمدن الفلسطينية المحتلة ذات أبعاد إيجابية مبنية على الودّ والمحبة والإخلاص ،وليس علاقة تناقض، فهو يتحد بمدينته وينطق اسمها وينافح عن قضاياها وهمومها ، لأنها تشكل قضيته المصيرية ، فهو جزء من أرضه العربية ، التي نشأ وترعرع فيها ، فالواجب يدفعه إلى عدم التفريض والتقاعس عن نصرتها ، فقد تعرضت مدننا الفلسطينية منذ احتلالها إلى هجمات شرسة لتهويدها وطمس معالمها ( ) ، ولم يقف الشاعر عند هذه المدن في فلسطين ، بل لحق نازحوها إلى مدن ومخيمات الشتات ، فلم يقف الشاعر العربي والفلسطيني مكتوف الأيدي ، أمام هذه الخطر الداهم الذي تراه يفتح فاه لابتلاع الأرض وإزالة معالمها ، ونشير هنا أنّ أبو دومة أدرك هذه الحقيقة ، فهبّ ينافح عن مدينته ، ويلهب

الجماهير ، ويستثير مشاعرهم ، فالقصيدة في وقتها عصاً سحرية تمور في الأعماق وتجعلها تغلي وتشتدّ .( ) ، وتنفجر لحظة مجيء المخاض، ويتحقق الأثر على أرض الواقع

ونتيجة لهذه الخصوصية ، جعل المدينة المحتلة تسمو على المستوى الرومانسي والاجتماعي ، ليتوحد الشاعر مع وطنية مدينته ومخيمه وريفه ، فيدافع عنها معانقاً روحه وأنفاسه الطاهرة إلى أن تتحرر من أيدي الغاصبين ( ) ، فالحديث عن المدينة المحتلة " القدس والخليل" تثير قضية الانتماء للأرض ، فأعطاها بعداً وطنياً لم تكسبه مدناً أخرى ، وأصبحت كياناً مرتبط بقيمة اجتماعية وأبعاد حضارية وإنسانية ( )، : احبّ المدينة وتعلق بها ، لأنّها تمثل رمزاً ، إذ يقول

! كعبتي حاذروا تهدموها ...! بارك الربّ فيكم

فهي ما ظلّ بعد كلّ المُزال ، فإن هدمتم ...فأنا ... شاجبوكم

( ) بلين ودود ... وود.. وليت أقوالنا ساعة الهدم – لا قدّر الله

وبعمق ارتباطه بفلسطين من خلال تخلي العرب بأحلامهم عن القدس وتبعتها الخليل ، واعتبرها مذلة ليس بعدها مذلة ، لا تشعر فيها بالصدق والحميمية ، فهو يثمن أخذ التأثر للكرامة العربية ، وهي الرمز الحقيقي للنضال المؤكد للشموخ العربي، وبهزيمة الزير سالم تنتهي حرب البسوس ، وفي الوقت ذاته بدأ التجمع : العربي من جديد استعداداً لصدّ هجمات أخرى إذ يقول

( ) لا تقعدا أخويّ قوما ... لا تقعدا ، يرّبا مربط النعامة مني

فصورة المدينة في ذهنه صورة تكتسب بعداً أشمل بشمول طلب الفعل وردة الفعل ، بموت الناقة وموت المهلهل وابن عباد ملكهم بطلا " حرب البسوس" في الجاهلية ، فالقدس من المدن الحضارية والمقدسة المهمة أسست معالمها الأولى على منطقة تلال الظهور التي تطلّ على سلوان من الجهة الجنوبية الشرقية التابعة للمسجد الأقصى ، أم امتدادها الجغرافي في الوقت الحالي ،فيبدأ من الجهة الجنوبية لجبال الخليل ، والجهة الجنوبية لمدينة نابلس ، وتصل من الجهة الشرقية التابعة للبحر المتوسط ،ويصل ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر إلى ما يقارب 775م ، وعرفت بعدة أسماء " مدينة يبوس ، ومدينة نبي الله داود ، وأورسالم ، وروشاليم ، ومع وصول الفتح الإسلامي عرفت ببيت المقدس ، وعمر هذه المدينة يقدر بـ " 38.000"سنة ، ومؤسسها ملكي صادق كان موجوداً في عهد نبي الله إبراهيم عليه السلام في فترة تقارب : 1850قبل الميلاد ، فحبّها والخليل في عروقه ، فحبّها مقدس رغم ما أصابها من ذلّ ومهانة ،إذ يقول

قرّبا مربط المذلة مني ، كبلتنا يهود

( ) والعزم بال قرّبا مربط المذلة مني

: فقد خضعت المدينتين للاحتلال والأسر ، فالإنسان بلا وطن لا يشعر بدارة الزمن ،إذ يقول

لا القدس قدسي ولا الخليل بخالي ، قرّبا مربط

مربط المذلة مني ...! مذ شتيلا دهمنا بشتى

الثقال ، قرّبا مربط المذلة مني... لحم قانا

( ) مخضب سربالي قرّبا مربط المذلة مني

وصور ما لحق بها من ذبول ، وفي نفس الشاعر مرارة ، فمدينة القدس لم تعد أرض مقدسة ، مدينة خاملة مهملة ، والحزن وصل إلى درجة الانهزام والقنوط ، فهذا الألم يحمل في أعماقه الشعور بالمسؤولية بضرورة تغيير الواقع البائس ، وكذلك مدينة الخليل المظلومة بأحيائها ومساجدها ، تجعل نقمة الشاعر تمور في اعماقه ، فتحوّل حزنه إلى حزن واعٍ وفاعل، فتستنبت غراس الغضب والحزن في نفسه قائلاً :

قرّبا مربط المذلة مني ... ! قرّبا مربط

مربط النعامة مني ...! إنّ وطء الرؤوس

( )! بالنعل غالي ... إنّ ذبح الكرام ... بالذل غالي

فنجده ينعاها وينعى ما حدث بمذبحة صبرا وشاتيلا ، فقد دهمها المحتل بكل عتاده ، وينعى نسيان هذا المخيم ، والذين تقاعسوا عن نصرتها ، وأرادوا طيّ صفحتها ، فهي عصيّة واسم مصون يتنفس من خلال إنسانه ، ولم ينس مذبحة "قانا" التي خضب سكانها بدمائهم

مذ شتيلا دهمنا بشتى الثقال ، قرّبا مربط

المذلة مني... لحم قانا مخضب سربالي

( ) قرّبا مربط المذلة مني

ويتوجه الشاعر بعد ذلك إلى مدينة القدس الخالدة ، ليعزف لنا أجمل الألحان والأناشيد ، معلناً صرخة مدوية بانه لن يترك هذه المدينة ، تناضل وحيدة ، فهو يريد السير إليها مخاطراً بنفسه من اجلها ، فقد تقدّم ، ولم يكن متخاذلاً عن نصرتها ، فنجده يتسمّر في القدس رمز الثبات والصمود ، فنجده يتوجه معها ، فلا توجد مسافات بينها وبين الخليل ، فهناك قواسم تطغى على الفواصل ، فهما تتعرضان لمخطط صهيوني لابتلاعهما ، فبعده عنهما مذلة فهو يعدّها هوية وانتماء ، وهي الذليلة المعزوزة في التمسك بالحياة والموت في سبيلها ، يحقق الحياة الكريمة ، فهو بهذا يشكوها همه ، ويبثّها أحزانه ، فهل نجدها تفصح عن شوقها ، وتخبره بانّها تشعر بالمرارة لبعده عنها ، وهنا تبرز مأساة القدس من خلال هذه المفارقة التي شهدها العالم ، فقد كانت ذات مجد وأمل مشرق ، فعلى العكس نرى أجراس الكنائس ومآذن المساجد تلجم في العياد ، وتبعث مظاهر الحسرة والحزن .

ومن هنا نلمس حجم المصيبة ، وهم النكبة التي جعلت هؤلاء الشعراء ، في كل قصيدة يهتفون بالارتباط بالوطن ، والوقوف بحزم أمام المخططات والعمل على تحدي المصاعب بكل ما أتي المرء من عزم وقوة وإرادة .

المبحث الثاني

" المدينة في قصيدة " إلا مَنْ أبى

القضية الفلسطينية بكل فصولها ، هي المحرك لهمم الشعراء العرب والفلسطينيين ، حيث أدى الشعر دوره في إلهاب الشاعر وتوجيه اهتمامه بالمشهد الفلسطيني ، معلناً النضال والثورة التي تعيد حقوقه المسلوبة وتعيد له إنسانيته الضائعة في مخيمات الشتات ، فالمدينة عند المدينة من الشاعر محبوباً لها ، تبثّه أحزانها وأشجانها ، وغدا ابناً لها ، اعتنت به وربتّه بصورة مثالية كما يربي الإسلام أبناءه على الحمية والشجاعة والانتماء ( )، فجعلت في نفسه الإباء ورفض الذلّ ، فنشأ على الكرامة والعزة ، ( ) !إذ يقول : يا جار دمي يا ابن امرأة هي أمي وابن أبي لا شك

حتى أعدّ ما تعرضت له مدينة جنين ومخيمها من خراب ودمار وضياع هو نهايته وفقدان أمله ، وتأتي النتيجة الحتمية هو الدفاع عن هذه المدينة الفلسطينية ، فلم تعد المدينة قصد الشاعر وهدفه بل ليشمل الوطن كله ، الذات القومية لتكون الأرض الفلسطينية هي الابن والشعب العربي هي الأم . صورة المخيم ،

هو أبرز مكان يرد مباشر في الشعر العربي والفلسطيني ، وهو ذلك المجهول الذي لجأ إليه الفلسطينيون مرغمين بلا حول منهم ولا قوة ، هذا المخيم تحوّل في فترة وجيزة إلى صورة وطن ومنفى ، ومسرحاً لتغيير الأحلام المسروقة والطموحات المشروعة ، فصار المخيم بما فيه من جرحى وثكلى ويتامى يتقدم الجميع ، فتحول إلى كائن فاعل يريد أن يغير وجه التاريخ ، لذلك حمل هموم الوطن ، ليقذفها حمماً في وجه المحتل ، إذ يقول :

يعزفه الجسد المتفجر بشظايا حلم البلد
العاتب ...فيخترق صراخ الثكلاوات شبابيك
( ) السماوات حتى أبواب العرش

مخيم جنين رمز الموت والمعاناة والصب والصمود ، والمواجهة والتصدي ، فعلى أرضه وبسواعد أبنائه انطلقت شرارة المقاومة والثورة ، وهو المكان الذي تشكلت من أزقته وداخل حجره المعاناة بكل صورها ، واقترنت كلمة المخيم بالذل والهوان ، والخوف الذي يحاصر ، وقد اخذ المخيم عند أبو دومة شكلاً من أشكال العنفوان والشجاعة رمز القيادة الحكيمة ،إذ يقول :

أطال الله بأعمار القتلى بين كتائب عزّ الدين
القسام فهم اليقظى ، وجحافل من نسلك يا إسماعيل
( ) تحبّ مرقدها حبّاً جماً ... لتنام

فغدا مسرحاً للقتل ،والارهاب والبطش ، فشوارعه وأزقته مسكونة بالرصاص ، والزوايا مليئة بالقنص ، أصبحت ميدان للمواجهات ، ويسقط الشهداء والجرحى .

فقد نجح الشاعر في استثمار الطاقات اللغوية في ابراز الأسى التي تعصف بوجدانه وبشعبه ، وفي خضم المعاناة التي صارت سمة تسمه حياة اللاجئين ، صار المخيم عقيدة تتأصل في قلوبهم ، ومبدأ : يسري في دمائهم ، فيوقد في نفوسهم روح الإصرار والأمل المنبثق من الآلام والأوجاع ،إذ يقول

صبرتَ تماديت بصربك ،حتى أفلحتَ إذ استشهدتَ

ففزتَ فعشتَ إلى ما بعد الآن ، قرّب سكينة " جنين

( ) حيث النزع القومي المتمسكن والمسكين

ورغم القتل والتدمير اليومي على مدار الاقتحام ، ظلت المدينة ومخيمها تنهض بعناد متحدية جبروت الآلة العسكرية ، وتبلو أسوبها المعيشي القائم علة مسايرة الأوضاع والتعاطي مع فرض حظر التجول ، فظلت عاجزة عن فرض سيطرتها ، أضف إلى ذلك التحدي المثير الذي أبداه الصبية تجاه تلك الآلة والسخرية منها ، فغدت جنين ومخيمها لعنة ستبقى تطارد الإسرائيلي ، بدءاً من الشواهد التي سطرتها "كتائب عز الدين القسام ، محاولين عرقلة تقدم دبابات الاحتلال ، لكن الحقيقة أن هذه الدبابات سرعان ما تقدمت : نحو البيوت ودمروها على رؤوس أصحابها من الأطفال والنساء والشيوخ ، إذ يقول

ونحتسبُ الأبناء الشيّب ونشكو قسوة ملك الموت لهذا

() التذبيح المحيّر والعام ... ونستغفر جاهك عن جرأة ذلتنا

فقد غدت مذبحة جنين ومخيمها أسطورة تؤسس إلى انجاز فلسطيني ، وأنّ نتائجها انغرست في أذهان الناس ، وقد دعا بعضهم إلى انشاء متحف للكارثة والبطولة في جنين من اجل تجسيد المعاناة والخراب والقتل ، وأنّ ما اعطى صمود مخيم جنين هذه الأهمية تلك المواجهة ،ووجود سلطة وطنية تمثل جزءاً من : الحلم الفلسطيني لإقامة الدولة ، إذ يقول

وانصرف الشدّادون لعضده ... أخلفَ

( ) ... فينا وعده ... قوّض عهده

ومما يلفت النظر رسمه لصورة المخيم شيوع دلالة المواجهة والتحدي عند سكان المخيمات تحدٍ قائم على المواجهة الفعلية مع العدو ن رغم الممارسات الوحشية ، بل صار عنواناً لرفض كل أشكال الذلّ : والحرمان ن وذلك بسلوك طريقتين هما

- . يتجه نحو التعبئة الجماهيرية
- .يحمل عبء المقاومة والمواجهة

الخاتمة

وهكذا تحظى المدينة الفلسطينية ومخيمها بأهمية خاصة في قصيدتين (إلا مَنْ ... أبى وقصيدة قرّبا مربط النعامة مني " للشاعر " محمد أبو دومة " ، إذ تمثل بؤرة الدلالة ومحور التجربة الذي تدور حوله

رؤى النص ، فالشاعر يريد أن يطوف بالوجود كله ماديات ومعنويات ، مشاعر وأفكار بحثاً عن عالمه المفقود ، الذي يستعين في سبيل هذه الطواف – بالانطلاق من مواقع معينة ، يتخذ منها دفئاً لوجدانه ، وسلماً يبتغي به الوصول إلى عالمه المنشود ، ومن ثمّ كانت المدينة التي يتجسد بها الشاعر رؤيته ويصور من خلالها تجربته الشعرية ، وهي نضجّ مكوناته النفسية ، إذ لم يخلقها من عدم ، بل هي رؤى وعوالم يضرم في رمادها وهج جمراته الشعرية .

المصادر

- أبو دومة ، محمد : قصيدة قرّبا مربط النعامة مني ، مجلة العربي أدب ونقد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد 531.
- أبو دومة ، محمد : قصيدة إلا مَنْ ... أبى : مجلة العربي أدب ونقد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد 526.

المراجع

- إسماعيل ، عز الدين : الشعر العربي المعاصر ، المكتبة الأكاديمية ، ط6، 2003م .
- ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن بشر أبو المنذر (ت204هـ) : أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام واخبارها ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، دار البشائر ، دمشق ، ط1، 2003م .
- بدوي ، عبد الرحمن : الموت والعبقرية ، مكتبة النهضة المصرية ، 1962م .
- حسين عبود ، رشوان : المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري ، المكتب الجامعي الحديث . ، الجمهورية العربية السورية ، الإسكندرية ، 1989م .
- السوافيري ،كامل : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، القاهرة ، انجلو مصرية ، ط1، 1973م .
- عبيدات ، زهير : المدينة في الشعر الحديث ، عمّان ، دار الكندي ، ط1، 2006م .

- محمود ، حسني : شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب ، الزرقاء – الأردن ، الوكالة العربية للنشر والتوزيع ، ط1، ج2.
- مدوكي ، مصطفى : مفاهيم عامة حول المدنية ، بسكرة – الجزائر ، جامعة محمد خضير – بسكرة ، 2013م .
- نزال ، غسان : أسطورة مخيم جنين ... أسطورة هزّت العالم ، ط4، دار البيان للنشر والتوزيع ، بيت لحم ، 2002م .
- هادي ، سمية : سوسيولوجيا المدينة وأماط التنظيم الاجتماعي الحضري ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 17 ، ديسمبر 2014م .